العرب
الجمعة 2021/10/22
السنة 44 العدد 12217

فيلما «كباتن الزعتري» و«أميرة».. معالجة باهتة لقضايا عربية حارقة

قصص مؤلمة عن الشتات والأسر تسقط في فخّ ما يطلبه الداعمون

عش الزوجية في سجن إسرائيلي

مازالت القضية الفلسطينية وقصص اللاجئين السوريين في الشتات تشغلان الفنانين وخاصة السينمائيين منهم، ومازالت تلك القصص والقضايا على اختلاف مواضيعها وأهميتها تشكّل مادة دسمة للجهات المنتجة، وبالتالي للمهرجانات وصناديق دعمها، ومن تلك الأفلام يأتي فيلما "كباتن الزعتري" و"أميرة" اللذان تمّ عرضهما ضمن المسابقة الرسمية لمهرجان الجونة السينمائي.

لمى طيارة
كاتبة سورية

باتت القضية الفلسطينية، وحتى السورية الأحدث منها زمنا، في مراتب متراجعة ضمن ترتيب أهمية الأخبار في النشرات وحتى برامج "التوك شو" السياسية، فلم تعد أخبارهما ولا حتى ما يجري في أراضيهما ومع مواطنيهما نقطة الخبر الحدث والأكثر أهمية كما كان سابقا، إلى درجة أن العربي صار لا يعرف عن أخيه العربي في تلك المناطق إلاّ ما ندر أو ما سمعه خطفا عبر وسائل الإعلام ونشراتها.

لذلك تبدو مسألة إعادة إحياء تلك القضايا -وخاصة الإنسانية منها- على صعيد سينمائي هامة، وربما مجزية إلى حد كبير وخاصة حين يستطيع منتجها إيصالها إلى العالم الغربي وليس فقط العربي. ولكن يبقى الخوف من الطريقة التي ستقدّم بها تلك القضايا؛ فهل ستكون فقط نقطة استثمار وخطف للأضواء، أم ستتجاوز ذلك لتصبح في حد ذاتها بقعة ضوء للتعريف بالقضايا والمعاناة التي يعيشها أهلها، وربما في مراحل أخرى تغيير ذلك وتبديل وجهات النظر الضبابية أو الغامضة المرتبطة بها؟

> فيلم «أميرة» عالج في بدايته موضوعا شائكا قبل أن ينجرف نحو الميلودراما التقليدية بغوصه في قضية الدفاع عن الشرف

وفي إطار تلك العروض السينمائية يأتي فيلمان مشاركان في المسابقة الرسمية لمهرجان الجونة السينمائي في دورته الخامسة، أحدهما وثائقي طويل بعنوان "كباتن الزعتري" وهو الوثائقي الطويل الأول للمخرج المصري علي العربي ومن إنتاج مصري - أميركي، ويعتبر عرض الفيلم في مهرجان الجونة بمثابة انطلاقة له في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بعد أن سبق له أن شارك في العديد من المهرجانات العالمية، خاصة بعد أن حظي بفرصة عرضه في مهرجان صندانس الأميركي، الأمر الذي فتح له الأبواب.

في الفيلم يتابع المخرج مسيرة حياة شابين سوريين هما محمود داغر وفوزي رضوان قطيش الفاران مع عائلتيهما ومع المئات ممّن هربوا من محافظة درعا السورية، ليصبحا بالتالي جزءا من نسيج اللاجئين في مخيم الزعتري الأردني. ووقع اختيار المخرج لبطليه من ضمن مئات اللاجئين، بسبب علاقتهما المميّزة بكرة القدم، حيث تعتبر المتنفّس الوحيد لهما في ظل الظروف القاسية التي تمنعهم حتى من متابعة الدراسة، لكن حبهما لكرة القدم وممارستهما للتدريب في ظل الظروف غير الإنسانية لا يكفيان للتأهل واللعب والمشاركة خارج حدود المخيّم، إلى أن تصلهم أكاديمية أسباير الباحثة بدورها عن موهوبين شباب في كرة القدم، فتختارهما الواحد تلو الآخر لبطولة دولية.

معالجة منقوصة

رغم أن كتالوغ المهرجان في تقديمه للفيلم يُشير بشكل واضح إلى أن المخرج كان قد تابع حياة الشابين على مدار ثماني سنوات عاشها منتقلا معهما في رحلتهما بين المخيمات والفنادق أثناء مشاركتهما في البطولة، إلاّ أن الفيلم حقيقة لا يظهر تلك التفاصيل ولا حتى تلك المعاناة التي يعيشها الشباب وذووهم في مخيم الزعتري، حيث في أغلب الأوقات لا مناخ ملائما ولا ظروف مناسبة لحياة كريمة أو حتى محترمه، إلى درجة بات فيها الفيلم ضعيفا في طرحة لقضيته بل وباهتا في نقله لصورة الداخل. وتبدو تلك النقطة واضحة إذا قورن بالفيلم الوثائقي المصري "عاش يا كابتن" الذي رصد حياة فريق رياضي مع مدربه في ظل ظروف أقل ما يقال عنها إنها بائسة إلى درجة تدفعنا للتعاطف مع الفريق والمدرب على الصعيد الإنساني وليس فقط الرياضي.

وكان من المفروض أن نظهر الظروف التي يعانيها الشابان في فيلم "كباتن الزعتري" أكثر قسوة وصعوبة وحتى حرمانا وضيقا، كما أنه فيلم لا يمكن مقارنته نهائيا بفيلم المخرج الإيطالي إيمانويل جيروزا "قفزة واحدة أخرى" الذي تابع فيه المخرج حياة شابين فلسطينيين من سكان غزة يعيشان في مكانين مختلفين بعدما تمكّن الأول من مغادرة غزة المحاصرة لينتقل إلى اللعب والتدرّب في الملاعب العالمية، بينما بقي الآخر أسيرا لعائلته تحت وطأة وضغط الاستدرار العاطفي المطبّق عليه من الوالدة.

وحقيقة أرى أنه من المجحف أصلا مقارنة الفيلمين السابقين بفيلم "كباتن الزعتري" الذي لم يحاول أبدا الغوص في أعماق شخصياته البائسة ولا حتى في مستقبلها، الأمر الذي يجعلنا نتوقّف طويلا ومجدّدا عند عبارة "متابعة مخرجه لشخصياته لسنوات".

وأما الفيلم الثاني الذي أردت الوقوف عنده فهو روائي طويل بعنوان "أميرة" للمخرج المصري محمد دياب، وهو الفيلم الروائي الثالث له بعد فيلميه الهامين "اشتباك" و"678"، وهو من إنتاج مصري - أردني - إماراتي - سعودي، ومن بطولة كل من علي سليمان وصبا مبارك مع حضور خاطف للممثل الفلسطيني صالح البكري، بينما تلعب دور أميرة الفنانة الشابة تارا عبود في إطلالة مميزة تنبئ بمستقبل زاهر لها.

وفي "أميرة" يختار المخرج، الذي كتب قصة فيلمه بنفسه بمشاركة خالد وشيرين دياب، فلسطين لتكون مصدرا لقصته وموقعا لأحداثها، فتدور أحداث الروائي الطويل حول السجين السياسي القابع في أحد المعتقلات الإسرائيلية، ويلعب دوره علي سليمان وزوجته صبا مبارك وابنته، وحول رغبته في إعادة إنجاب طفل لعائلته كجزء من إحساسه الداخلي بتحقّق الحرية وبوجود روح تمثله خارج القضبان، لتبدأ رحلة معاناة تلك الأسرة بعد معرفتها أن ذلك السجين عقيم وأن ابنته التي أصبحت اليوم شابة هي ابنة غير شرعية، ولتبدأ رحلة الشكّ في الأم وكل المحيطين بها بمن فيهم أفراد العائلة.

كابتن من الزعتري في استراحة محارب

الكثيرين قضية غامضة وغير معروفة، الأمر الذي يجعل الموضوع في حد ذاته هاما ومشوّقا على صعيد الطرح.

لكن انحراف النص وانجرافه نحو تلك الميلودرامية التقليدية وتحويله إلى عمل عربي يحاول الأبطال فيه الدفاع عن شرفهم، وبدء الهجوم على الفتاة ومعاقبتها ولو ضمنيا بتلك القسوة والسذاجة باعتبارها من سلالة إسرائيلية، بدا بدوره أيضا ساذجا ولا يليق بموضوع يحمل كل هذا الكم من الأهمية والمقاومة وحب الحياة والتمسّك بها، وكأن الفيلم أراد أن ينسف إنسانية هذه العائلة التي أنجبت هذه الطفلة من دمها وقامت بتربيتها إلى أن أصبحت شابة تهيم على وجه المحتل.

بعد مشاهدة الفيلمين، يبقى السؤال الملحّ: لماذا يلجأ المخرجون المصريون أو غيرهم من العرب إلى قصص اللاجئين السوريين أو حتى العودة إلى الملفات الفلسطينية ونبش مواضيعها القديمة المتجدّدة، هل لأنها مازالت تلقى دعما ماديا سواء من قبل المنتجين ومنصاتهم التابعة للمهرجانات نفسها باعتبارها قضايا ساخنة؟ أو كما تذكر إحدى المنتجات المصريات أنه بعد الثورة في مصر "كان أي موضوع عنها يلقى دعما وإقبالا شديدا من الجهات الداعمة وخاصة في أوروبا، وذلك على حساب القضية الفلسطينية ذاتها، كبرى قضايا الوطن العربي، لكن ما إن بدأت الأحداث في سوريا وانتشر السوريون في بقاع الأرض حتى باتت قضيتهم الشغل الشاغل لمنصات المهرجانات وصناديق الدعم، فأنتجت حتى اليوم عشرات الأفلام عنهم"؟ أم أن الخوض في القضايا المحلية يشكّل اليوم خطرا أو خطا أحمر بالنسبة إلى الرقيب في بعض الدول العربية، الأمر الذي يدفع مخرجيها للجوء إلى طرح قضايا خارجية يمكن الخوض فيها بكل حرية وتلقى بدورها الدعم المادي والمعنوي؟

حرية بديلة

بعيدا عن الأداء المتميّز الذي عرفناه عند الفنان علي سليمان المتمكّن من أدواته -وهو البليغ حتى في صمته الذي كان حاضرا بقوة في فيلم "200 متر" ، الفيلم الأكثر خوضا في القضايا الفلسطينية المفصلية- وظهور صبا مبارك كعادتها بأداء متّزن ومتماسك، بدا الفيلم حتى نصف الساعة الأول منه شيقا إلى حد كبير ويحمل سيناريو جديدا وغير متوقّع.

فقضية نقل الحيوانات المنوية من داخل السجون إلى الخارج وتلقيحها للزوجات في الخارج بهدف الإنجاب، رغم أنها ظاهرة معروفة لدى الفلسطينيين أنفسهم إلاّ أنها تعتبر بالنسبة إلى

«حجر الواد».. فيلم يسلّط الضوء على أزمة الإعلام التونسي بعد الثورة

تونس - قدّم المخرج التونسي محمد خليل البحري مساء الأربعاء العرض الأول لفيلمه "حجر الواد" بقاعة الكوليزي بالعاصمة تونس، بحضور طاقم الفيلم من ممثلين وتقنيين.

و"حجر الواد" هو أول فيلم تصوّر مشاهده في تونس ويعرض بعد قرار عودة الأنشطة الثقافية في الخامس والعشرين من سبتمبر الماضي، وذلك إثر توقفها جراء فايروس كورونا.

فيلم طغت عليه الإثارة والتشويق ما جعل المُشاهد يتساءل لفكّ ألغازه، حيث يعتمد محمد خليل البحري في أفلامه على أسلوب النهايات غير المتوقّعة.

وكان الواقع والغموض والخيال في الحياة الاجتماعية التونسية العنوان الأبرز للفيلم، كما عالج علاقات الصداقة والحب والغيرة والخيانة والمنافسة في العمل واستغلال المشاعر من أجل تحقيق الغايات الشخصية.

وانطلق الروائي الطويل باختفاء الإعلامي "فراس بوزيان"، (جسّد دوره الممثل مجد بلغيث)، وسط ارتباك وخوف صديقه وزميله الإعلامي الشهير "مالك" (الممثل أحمد الأندلسي)، الذي تحقّق الشرطة معه ومع الفريق التلفزيوني حول أسباب اختفاء الصديق/الزميل.

صراع داخلي يجعل بطل الفيلم مالك تائها بين شعوره بالذنب من اختفاء صديقه الذي تتراءى له صورته في كل مرّة وبين يقينه ببراءته، ليدخل في دوّامة من الشك، حيث تشير أصابع الاتهام إليه بقتل فراس وإخفائه.

وفي محاولة مالك للخروج من حالته ومن تأنيب ضميره تعرّف على عبير زميلته في نفس المؤسّسة الإعلامية التي كانت تعاني بدورها من أزمة نفسية لتنشأ بينهما حالة حب.

وتتوالى الأحداث بمحاولة بطل الفيلم (أحمد الأندلسي) الخروج من هذه الأزمة النفسية، فيقرّر الزواج من عبير بعد أن غادرا وظيفتيْهما، لتنتهي أحداث الفيلم بمقتل زميلته على يد صديقه الذي ظهر فجأة، وتبيّن أنه لم يمت.

والعمل من بطولة أحمد الأندلسي ورؤوف بن عمر ومروى العقربي ومجد بلغيث ومالك العوني ولمين بالخوجة وأحلام الفقيه وعزيز باي.

ونجح المخرج فنيّا في تمرير مشاعر الحيرة والاضطراب والشكّ والتساؤل التي انتابت بطل الفيلم إلى الجمهور، ليُصبح بدوره تائها بين جملة من الاستفهامات حول الحالة النفسية التي تمرّ بها الشخصية الرئيسية في الفيلم.

> الفيلم ينتقد أساليب معالجة الإعلام التونسي للأحداث، وسعيه المحموم نحو الإثارة للرفع من نسب المشاهدة

واستعرض البحري من خلال هذا العمل السينمائي مجموعة من القضايا منها ما يتعلّق بتردّي الحالة النفسية للمواطن التونسي في ظلّ الأحداث التي تلت ثورة الرابع عشر من يناير 2011، وهي القضية المركزية في الفيلم.

كما لم يُفوّت التطرّق إلى الإعلام مُنتقدا طرق وأساليب معالجته للأحداث، وقد صوّرها في أن الإعلام يبحث عن الإثارة من أجل الرفع من نسب المشاهدة، وتتحكّم فيه لوبيات المال والأعمال، ممّا جعله يفقد دوره الأساسي في نقل الأحداث بموضوعية.

«العودة».. سيرة ذاتية عن محنة كورونا

الجونة (مصر) - لم تكن المخرجة المصرية سارة الشاذلي التي تدرس السينما بالخارج تخطّط لأي شيء لدى عودتها إلى القاهرة في مارس 2020 سوى قضاء بعض الوقت مع العائلة، لكن تفشي جائحة كورونا فرض عليها إقامة امتدت لبضعة أشهر كانت أحداثها هي محور فيلمها الوثائقي الطويل "العودة".

والفيلم مدته 76 دقيقة، وهو الوثائقي الطويل الأول بعد نحو عشرة أفلام قصيرة حصل بعضها على جوائز دولية مثل فيلم "إيزابيل" الفائز بجائزة أفضل فيلم قصير بمهرجان القاهرة السينمائي العام الماضي.

وينطلق الفيلم من تجربة شديدة الخصوصية لعائلة سارة الشاذلي في فترة صعبة عاشها العالم وسط تخبط وقلق بسبب غموض الفايروس الجديد، ليتحوّل إلى تجربة إنسانية عامة يمكن أن يجد كل مشاهد نفسه وعائلته مكان هذه الأسرة على الشاشة.

ورغم ثقل الوقت وتجمّد مظاهر الحياة في تلك الفترة بسبب فرض حظر تجوّل طوال الليل في مصر، يأتي الفيلم مفعما بالحيوية والمرح الذي يضفيه بشكل خاص الأب نبيل الشاذلي بحبه الكبير للموسيقى والرقص والطبخ وابنته سارة.

وبعدما دارت معظم الأحداث في بيت العائلة بالقاهرة ينطلق الفيلم إلى آفاق أرحب فتنطلق الأحداث إلى بيت آخر في منطقة دهشور بالجيزة، حيث تقضي سارة مع أبيها وأمها وشقيقها يوسف بعض الوقت ثم يذهبون إلى شرم الشيخ للاستمتاع بالشمس والبحر ومنها إلى الساحل الشمالي.

ومن خلف الجدران الصامتة إلى الأماكن الرحبة تنساب الأحاديث تلقائية بين أفراد العائلة عن ذكرياتهم وحبهم للسينما والموسيقى وأمنياتهم للمستقبل، بل حتى عن حقيقة الموت وما بعده.

وقالت الشاذلي "نحن عائلة محبة للفن بشكل عام والكاميرا في يدنا طوال الوقت، لذلك في البداية كان هدفي تسجيل لقطات للذكرى لأن ما حدث في تلك الفترة شيء استثنائي لم نشهده من قبل".

وأضافت "بعد وقت اكتشفت أن المادة التي سجلتها على مدى أشهر يمكن أن تتحوّل إلى فيلم، فيلم يحكي عني وعن هذه التجربة، وبدأت في مرحلة المونتاج حتى خرج الفيلم إلى النور".

وتابعت قائلة "كانت تجربة ممتعة إنسانيا ومهنيا، لأنني جرّبت الكثير من الحيل والألعاب، فليس من السهل أن تكون أنت المصوّر والمخرج والمونتير في ذات الوقت وأيضا تظهر في بعض اللقطات".

طريق «العودة» من محنة كوفيد